العدد 1610 - السنة السادسة
الجمعة 3 رمضان 1434 - الموافق 12 يوليو 2013
Friday 12 July 2013 - No.1610 - 6th Year

وقفة مع الطعام في رمضان

الشريعة الإسلامية تنظر إلى الطعام كوسيلة للإعانة على الحياة وليس هدفاً

أحبتي في الله بعد أن أقبل علينا ضيف غال كريم.. انتظرناه بشوق ولهفة ورجاء بأن يمد الله في أعمارنا لنلحق به كلملا ونكرم وفادته ليرحل عنا حامدا حسن استقباله وضيافته، ولأن المتأمل في حال الأمة الإسلامية والأمة العربية على وجه الخصوص يلاحظ بوضوح مستفز.

ان الأمة ممثلة في أفرادها تشحن طاقاتها وكأنها مقبلة على موسم جفاف وقحط ومجاعة لا تبقي ولا تذر!! فالمسلمون يستقبلون ضيفهم بإفراغ جيوبهم عند التجار. تجار الأطعمة والأشربة..! وانقلبت الآية فبدلا من أن يكون شهر رمضان.. شهر الصيام والإقلال من الطعام.. صار شهر الطعام والإكثار منه إلى حد غريب..! ويخرج المسلم من رمضان.. ممتلئا.. ممتلئ الجسم.. عظيم الكرش.. لا ممتلئ الصحف بالأعمال الصالحة والحسنات وأنواع القرب والطاعات..! ولذلك نجد من بيننا من تحمل هم رمضان..!

هم المطبخ الذي تمكث فيه من الصباح إلى منتصف الليل... إن لم يكن إلى الفجر..!!! وكثير من النساء تستقبل رمضان استقبالا حازما.. فتمكث الساعات الطوال منهمكة في إعداد ورقة طولها ذراع أو تزيد.. بها من الأطعمة والمسليات والمكسرات والعصائر وغير ذلك.. وكأنها تستقبل مجاعة تعد لها العدة بإحضار أكبر كمية ممكنة من الأطعمة!

وكثير من الرجال إذا كانت زوجته ليست من النوع السابق يأتي ويقول لها: لابد أن تصنعي لي على الإفطار كذا وكذا.

ويأتي محملا بأصناف الطعام لأنه يريد أن يفطر جيداً.. مقلداً مائدة فلان.. ووصف فلان الآخر.. ولكن يا أحبتي في الله.. هذه نظرة خاطئة للطعام ودوره في حياة المسلم..

ونظرة خاطئة للطعام في شهر الإقلال من كل الشهوات والمباحات.. والحد منها..

فالإسلام ينظر إلى الطعام على أنه وسيلة من وسائل الإعانة على الحياة.. وليس هدفا في حد ذاته وهو من المباحات طالما كان طيباً حلالا.

وحتى وإن كان مباحاً فإن الشرع ينهى عن الإسراف في المباحات.. لأنها تسبب قسوة القلب وغفلته.. وتنسيه الحمد والشكر وحق الفقراء والمساكين والمباحات كما هو معلوم لا يأخذ الإنسان ثوابا على فعلها.. ولكن الأعمال بحسب ما تكون وسيلة له.. فلو أكل الإنسان وشرب بنية التقوى على الصيام في اليوم التالي.. أو بنية التقوى على قيام الليل.. أو بنية التقوى على الجهاد في سبيل الله.. صار الطعام وهو المباح في الأصل طاعة لأن الإنسان نوى به خيراً وهو الاستعانة بالمباح على الطاعة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تسحروا فإن في السحور بركة».

النظرة الشرعية إلى الطعام تؤكد أنه وسيلة وليس هدفاً

من قصص أهل القرآن

لان شهر رمضان هو شهر القرآن فتعالى معي اخي لاهدي لك هذه الهدية في رمضان انها قصص اهل القرآن عند لحظة الوداع الإخير، اسوقها لمن اراد العيش السعيد، قال تعالى «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» (يونس: 58)، قال بعض السلف: «فضل الله الإسلام ورحمته القرآن»، وقال بعضهم: «فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله» فمن أدركه فضل الله ورحمته كان من أهل القرآن، ومن كان من أهل القرآن رزقه الله فرحا يجده في قلبه، فرحا حقيقيا ناجما عن سكون القلب واطمئنانه «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب» (الرعد: 28).

عبدالله بن عباس

فهذا عبدالله بن عباس ترجمان القرآن الذي دعا له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فوهب حياته لتعلم القرآن وتفسيره وما فيه من أحكام وأسرار، يعتمد على تفسيره كل من أتى بعده، ظل على هذا الحال حتى مات فلما ذهبوا به ليدفنوه دخل نعشه طائر لم ير مثل خلقته من قبل ولم ير خارجا منه، وسمعوا بعد دفنه صوتا على شفير القبر يقول ولا يدري من القائل «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي». (صححه الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء هذه قصة متواترة).

يزيد بن القعقاع

أما أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني صاحب القراءة المشهورة من القراءات العشر رجل عاش حياته للقرآن وعى القرآن في صدره فلما مات غسلوه فنظروا ما بين نحره وفؤاده – منطقة الصدر – فوجدوا فيها كورقة المصحف فيقول نافع مولى ابن عمر وهو ممن غسله: فما شك من حضره أنه نور القرآن، سير أعلام النبلاء للذهبي.

الإمام ابن تيمية

أما شيخ الإسلام وتحفة الأنام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الذي عاش حياته في سبيل الله، يجاهد بالكلمة والسنان، سجنه أعداؤه في آخر حياته فانكب على تفسير القرآن، نزعوا الأوراق من بين يديه فكان يكتب على الجدران، حتى منعوه من الأقلام فانكب على تلاوة القرآن يختمه الختمة تلو الختمة حتى كان آخر ما قال من قراءته في كتاب الله عز وجل قبل أن يموت (إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر).

قد يقول قائل: هذه قصص السابقين وحكايات الغابرين، أما الآن فلا يوجد مثل ذلك. نقول له: لا بل لايزال الله يظهر حسن خاتمة من تمسك بكتابه ليدلك على صدق هذا الكتاب الذي من تمسك به نجا.

الشيخ عامر عثمان

فهذا شيخ القراء بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة الشيخ عامر السيد عثمان، ابتلاه الله قبل وفاته بسبع سنين بمرض قطع أحباله الصوتية فأصبح قارئ القرآن بلا صوت، هل يسكت أو يتوانى ويعجز؟ لا بل ظل يدرس لتلامذته عن طريق حركة الشفاة والإيماءات والشهيق حتى جاءه مرض الموت فأصبح قصيد الأسرة البيضاء في المستشفى، وقبل وفاته بثلاثة أيام سمعه أهل المستشفى يقرأ القرآن بصوت جهوري عذب ندي لمدة ثلاثة أيام حتى ختم فيهن القرآن من الفاتحة إلى الناس، ثم أسلم الروح إلى بارئها فرحمه الله رحمة واسعة. (الجزاء من جنس العمل للعفاني).

الشيخ محمد بكر

وها هو الشيخ محمد بكر إسماعيل صاحب كتاب الفقه الواضح وغيرها من المصنفات الكثير. هذا الرجل حفظ القرآن وهو ابن ست سنين ثم فقد بصره فلم ييأس بل تعلم القراءات العشر ثم التحق بالأزهر وحصل على الماجستير والدكتوراه حتى أصبح أستاذا في التفسير وعلوم القرآن، وظل حياته يتعلم ويعلم ويؤلف الكتب حتى الليلة السابقة قبل وفاته بليلة كان يكتب كتابا عن الأخلاق الإسلامية فكان آخر ما كتب في هذا الكتاب فصل «الإخلاص لله في القول والعمل» ثم لما كانت الليلة التالية قام لله يصلي فقرأ في الركعة الثانية «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي» ثم ركع، ثم قام، ثم هوى ساجدا، فكانت آخر سجدة في حياته، ويبعث المرء على ما مات عليه.

فانظر لنفسك أخي في الله أي خاتمة تحب أن تختم حياتك بها، فإذا أردت حسن الخاتمة فالحق بهذا الركب واحفظ القرآن وتدبره واعمل به كي تكون من الناجين واجعل من رمضان انطلاقتك نسأل الله حسن الخاتمة.

من أسرار الصيام

للإمام أبو حامد الغزالي

للصيام أسرار وحكم في الواجبات والسنن الظاهرة

أما الواجبات الظاهرة فستة:

الأول: مراقبة أول شهر رمضان، وذلك برؤية الهلال، فإن غم فاستكمال ثلاثين يومًا من شعبان.

الثاني: النية، ولابد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة، فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه.

الثالث: الإمساك عن إيصال شي إلى الجوف عمدًا مع ذكر الصوم، فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحقنة.

الرابع: الإمساك عن الجماع، وحدّه مغيب الحشفة، وإن جامع ناسيًا لم يفطر، وإن جامع ليلا او احتلم فاصبح جنبًا لم يفطر.

الخامس: الإمساك عن تعمد إخراج القيء، وإن غلبه القيء لم يفسد صومه.

وأما لوازم الإفطار فاربعة:

القضاء، والكفارة، والفدية، وإمساك بقية النهار تشبهًا بالصائمين.

أما القضاء: فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر.

وأما الكفارة: فلا تجب إلا بالجماع.

وأما إمساك بقية النهار: فيجب على من عصى بالفطر إن قربه، ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها، ولا على المسافر إذا قدم مفطرًا من سفر.

وأما الفدية: فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على ولديهما، لكل يوم مُدّ حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدًا.

أما السنن فست:

تاخير السحور، وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة، وترك السواك بعد الزوال، والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائل في الزكاة، ومدارسة القرآن، والاعتكاف في المسجد، لا سيما في العشر الأواخر، فهو عادة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش، وشد المئزر، ودأب وأدأب أهله، أي أداموا النصب في العبادة، إذ فيها ليلة القدر.

وأما أسرار الصوم وشروطه الباطنة

أعلم أن الصوم ثلاث درجات، صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص.

أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله. وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام.

وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية، والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله ـ عز وجل ـ بالكلية، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله ـ عز وجل ـ واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا، إلا دنيا تراد للدين.

في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

وأعلم أن استحباب الصوم يتاكد في الأيام الفاضلة، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة، وبعضها يوجد في كل شهر، وبعضها في كل أسبوع.

أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة، ويوم عاشوراء، والعشر من ذي الحجة، والعشر الأول من المحرم، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم، وهي أوقات فاضلة و«كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر من صوم شعبان حتى كان يظن أنه في رمضان». والأشهر الحرم: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، واحد فرد وثلاثة متواليات.

وأما ما يتكرر في الشهر: فأول الشهر وأوسطه وآخره، وأوسطه الأيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

أما في الأسبوع فالاثنين والخميس والجمعة، فهذه الأيام هي الأيام الفاضلة، فيستحب فيه الصيام وتكثير الخيرات، لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات.

وأما صوم الدهر فإنه شامل لكل زيادة: وللسالكين فيه طرق، فمنهم من كره ذلك، إذ وردت أخبار تدل على كراهيته، والصحيح أنه إنما يكره لشيئين:

أحدهما: ألا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو صوم الدهر كله.

والآخر: أن يرغب عن السنة في الإفطار، ويجعل الصوم حجرًا على نفسه، لأن الله ـ سبحانه ـ يحب أن تؤتى رخصة كما يحب أن تؤتى عزائمه، فإذا لم يكن شي من ذلك، ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك، فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم.

الفتاوى الرمضانية

● إذا صام الناس ثمانية وعشرين يوماً ثم رأوا هلال شوال، ماذا عليهم؟

– عليهم الفطر وقضاء يوم فقط.

● إذا صام الناس ثلاثين يوما ولم يروا الهلال لغيم ونحوه، ماذا عليهم؟

– لم يفطروا حتى يروا الهلال.

● إذا ثبت الهلال نهارا ببينة؟

– عليهم:

الإمساك بقية ذلك اليوم.

والقضاء لعدم تبييت النية.

، ماذا على من بلغ نهاراً مفطراً، وعلى الحائض والنفساء إذا طهرتا نهارا، أوقدم المسافر من سفره نهارا، أويرئ مريض وكان مفطرا؟

– على كل هؤلاء:

الإمساك بقية اليوم.

والقضاء.

● ما مفسدات الصيام؟

– مفسدات الصيام قسمان:

ا. قسم مجمع عليه بين العلماء، وهو:

1. الردة، لقوله تعالى: «لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين».
2. الأكل والشرب عامدا، لقوله تعالى: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل».
3. الجماع.
4. إنزال المني باختياره.
5. خروج دم الحيض والنفاس.
6. الحقنة الشرجية، وحقن الدم أوالغذاء.
7. تعمد القيء.
8. شرب الدخان وتناول غيره من أنواع التبغ.

ب. قسم مختلف فيه:

1. الحجامة.
2. القطرات بأنواعها: قطرة العين، والأذن، والأنف.
3. الحقنة في العضل أوالوريد.
4. الأدوية التي تستنشق كدواء الربو.
5. بلع الريق وإن جمعه، والنخامة.
6. دواء الجروح التي في بقية البدن.
7. القبْلة إلا لمن خشي منها.

بعض العلماء ذهب إلى أن هذه مفطرات ومفسدات للصوم، استدلالا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم: «وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما»، الحديث.

وبعضهم ذهب إلى أنها ليست من المفطرات لعدم وجود دليل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إنه لا يوجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث صحيح، ولا ضعيف، ولا مسند، ولا مرسل، يدل على أن هذه من المفطرات).

الذي يترجح لدي أن هذا القسم ليس من المفسدات للصوم، لعدم وجود الدليل، لأن العبادات توقيفية، والعلم عند الله.

● من يباح لهم الفطر في رمضان؟

– يباح الفطر في رمضان لأربعة أصناف من الناس، هم:

1. المريض والمسافر، لقوله تعالى: «فمن كان منكم مريضا أوعلى سفر فعدة من أيام أخر»، وعليهما القضاء.
2. الحائض والنفساء، تفطران وعليهما القضاء، وإن صامتا لم يجزئهما إجماعا، والدليل قول عائشة: «كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»، يعني في حال الحيض والنفاس.
3. الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أفطرتا وقضتا لأنهما بمنزلة المريض، أما إذا خافتا على ولديهما فتفطران وتقضيان وتطعمان عن كل يوم مسكينا، لقول ابن عباس: «.. والمرضع والحبلى إذا خافتا على أولادهما أفطرتا وأطعمتا».
4. العاجز عن الصيام لكبر أوالمريض لا يرجى شفاؤه يفطران، وليس عليهما قضاء، وعليهما الكفارة عن كل يوم إطعام مسكين إن كانا مستطيعين، وإلا فلا شيء عليهما، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما.

مشاهدات رمضانية

موائد الإفطار في الحرمين المكي والمدني

المشاهدة الأولى

مكة، حيث الحرم الشريف، وقد امتلأ عن آخره بالمعتمرين القادمين من كل مكان، كي يحظوا بالعمرة في رمضان، وهي التي وصفها – صلى الله عليه وسلم – بأنها تعدل حجة معه صلى الله عليه وسلم؛ حيث أدوار الحرم المكيّ الثلاثة ممتلئة عن آخرها، جموع المصلين يتسابقون للاعتكاف في الحرم، منهم من تعوّد المجيء للعمرة في رمضان كل عام، ومنهم من اعتمر مرات ومرات، والأقل من يزور الحرم لأول مرة.

المشاهدة الثانية

مع أذان المغرب تُفْرَش موائد الإفطار في الحرمين المكي والمدني، ويتسابق القائمون عليها لجذب المسلمين ليجلسوا في موائدهم، وكلما زاد عدد الجالسين ازداد فرح القائمين على هذه الموائد؛ لأنهم يرون أن أجرهم يزيد بقدر زيادة عدد المفطرين على موائدهم.

موائدُ أخرى ممتدة في معظم بلاد المسلمين، تعرف بـ«موائد الرحمن»، يتبرع بها الخيّرون لإطعام الفقراء، تتعدد هذه الموائد وتكثر، ويتسابق المحسنون لإقامتها؛ لدرجة أن تجد المائدة والثانية والثالثة متجاورات، ولا تجد من يأكل فيها!.

المشاهدة الثالثة

مازالت وكالات الأنباء تنقل إلينا أخبار إخواننا الأبطال في الانتفاضة، الذين يدخل عليهم رمضان، وهم مستمرون في عطائهم منذ ما يقارب الشهرين، أعمالهم معطلة، موارد رزقهم مغلقة، ضغط الحياة يزداد على الأسرة الفلسطينية كل يوم، وإسرائيل تزيد هذا الضغط بضغط الحصار والتضييق.

المشاهدة الرابعة

تتوالى الأخبار تباعاً تحكي لنا أحوال إخواننا المسلمين في أنحاء متعددة من العالم؛ حيث أنهكهم الجوع، وأضناهم الفقر، وأعياهم المرض، في بلاد شتى: الصومال، والقوقاز، وشبه القارة الهندية، والفليبين، وما زال السيل على الجرّار.

المشاهدة الخامسة

أينما تولي وجهك في بلاد المسلمين، تجدها تحمل تشابها كبيراً في قضايا كثيرة، بعضها جيد، وكثيرٌ منها ليس كذلك، مظاهر سلبية كثيرة تسود مجتمعاتنا في كافة قطاعاته ومستوياته، تبدأ من الشوارع غير المعبدة التي تتفنن في تخريب السيارات، ومروراً بمجموعات الشباب التي تشكو البطالة وضيق ذات اليد، ووصولاً إلى مؤسسات المجتمع الغائبة عن الوعي قبل أن نتحدث عن غياب دورها الفاعل في المجتمعات.

التَطَلُّعُ الوحيد

حقاً رمضان شهر الخير، وحقاً عَبَقُه ينتشر في النفوس فيملؤها خيراً وجوداً وبذلاً، وما زال المسلمون فيه يقتدون بنبيهم الكريم –صلى الله عليه وسلم – الذي كان «أجود من الريح المرسلة»، وهذه الخيرية ولا شك محمودة مطلوبة، ولكنْ.. تتراءى أمام عينيك صورٌ وخيالات متناقضة: الخيرات تترى أمام ناظرينا في أماكن، وأماكنُ أخرى تشكو الفاقة والعوز!.. مسلمٌ هنا لا يجد مَن يأكل طعامه، وآخرُ هناك لا يجد ما يسدُّ به حاجته! تسابقٌ محمومٌ لأداء العمرة كل عام، والمسلمون في فلسطين لا يجدون السند الذي يضمنون به الاستمرار في جهادهم!.. أموال تصرف هنا وهناك في مجالات الخير، ولكن مبدأ التكافل الإسلامي الحقيقيّ غائب! فلم يفكر أحدٌ في توجيه هذه الأموال لتشغيل الشباب في مشروعات صغيرة كانت أم كبيرة، ولم يخطر ببالِ المحسنين أن يقدموا هذه الخيرية لإعفاف المسلمين والمسلمات، ولم تكن هذه الخيرية الدافقة وسيلة لإصلاح أي شيء في المجتمع من الشوارع إلى المنشآت إلى المساهمة في حل أزمات كثيرة!